educportal
البوابة التعليمية الجزائرية

# النص التواصلي

## الطبيعة من خلال الشعر الجاهلي

(نخبة من الأساتذة)

### تقديم النص

مرت بك قصيدة عبيد بن الأبرص في وصف البرق والرعد والمطر، وهي نموذج لغرض تعددت فيه مواضيع الطبيعة حيث أبدع شعراء العصر الجاهلي في تصويرها ووصفها. وهذا النص لنخبة من الأساتذة من عدّة أقطارعربية يبين لك المواضيع التي أبدع فيها الشعراء في العصر الجاهلي.

### النص

قامت حياة العربي على الرحلة والانتقال سعيا وراء الكلإ وبحثا عن الماء، يقيم حيث يرى الرزق، فيحل بخيمته و ينصب أثافيه ويوقد النار ويعيش حتى ينضب هذا المورد فينتقل إلى غيره، ويعيش بذلك في مساس مع الطبيعة وتجاور مستمر، يرعى النجوم في أفلاكها، وينظر إلى السماء وكواكبها، ويراقب السحب والغيوم والبرق والرعد، عبر الصحراء، ومر بالوهاد والنجاد والسواقي والمياه، فهو في صلة مع هذه الظواهر لا تنقطع، تقع عيناه عليها في الصباح والمساء والليل كأنه راصد فلكي أو جغرافي باحث.

وليس غريبا أن يقع على آثار من حل قبله أو يمر بالأماكن التي نزل بها غيره، فيرى الأطلال والديار والدمن بين نازح ومنيخ يحط رحله، فتتنازع الشاعر عواطف غريبة لهذه الصحراء والبادية، ويرى فيها موضوعات مختلفة، تحدثه الأحجار عن حب سلف أو معركة نشبت أو غارات وقعت فينطلق لسانه ليرسم الطبيعة ويصور ما تقلب عليها من حب وحرب وطعن وضرب و صيد وقنص. و هكذا وصلت إلينا في الشعر الجاهلي أوصاف الأطلال والليل والسحاب والبرق والغيث. حيث تعرض الشعراء إلى وصف الأطلال ورسوم الديار وقد تقلبت عليها الرياح السافيات.

فزهير بن أبي سلمى عرض إليها ورآها قد انمحت و درست، وصارت بعد أن هبت الريح و جرى السيل كبقية الوشم في عروق المعصم حتى غدت هذه الأطلال موطنا للآرام ومرتعا لبقر الوحش ينتقلن فيها من مكان إلى مكان.

وأما لبيد بن ربيعة فقد وصف الأطلال كزميله، فرأى أن حججا كثيرة تقلبت عليها فأصبحت مرعى الظباء والنعام والبقر الوحشي، و أصبحت مرتع الأوابد بعد أن كانت مواطن الجمال والحب و الفتنة، وقد تعاقبت الرياح والسيول على هذه الأطلال فكشفت عن آثارها القديمة، فغدت كأنها كتب قديمة فجدد الكاتب سطورها، أو كأنها وشم ذهب أثره في اليد فأعادت المرأة شكله بالكحل تذره عليه.

ووصف الشعراء الصحراء فرأى الأعشى أنها أشبه بظهر التُّرس في استوائها، وأنها مقفرة موحشة فما يسكنها إلا الجن، يمرحون فيها ويصخبون خلال الليل، فإذا أشرق النهار وعمت الشمس أرجاء الكون اشتد القيظ و الهجير فما يطيقه إلا الفرسان الشجعان والأبطال الغطاريف، فهم يقطعون الصحراء مقتحمين الأهوال والمخاطر.

أما الليل فقد رآه امرؤ القيس شبيها بالبحر حين يغمر السابحين، ورأى أن نجومه المتلألئة كأنما ربطت بأمراس شديدة الفتل إلى رأس جبل لا تتحرك ثابتة، ثقيلة الوطء على الساهر المحزون.

وحينما صوروا المطر المنسكب يملأ الأرض ويغمرها فيخفي أوتاد الخيم ويغطي الأشجار، فما تبدو منها إلا رؤوسها يعلوها الزبد تخيلها امرؤ القيس أنها رؤوس مفصولة عن أعناقها تسبح في الماء. ووصف الأعشى البرق يلتمع ثم يخبو فرأى أنه شعلة تومض وتنطفئ أو شرارة تبدو و تختفي، والسحاب العارض ظلمات متراكمة تسح وتنسكب فتملأ المياه كل مكان، وتجاوز الحد فتبلغ الأمكنة العالية، والكثبان العالية، والكثبان المنتشرة.

أما عبيد بن الأبرص، فيرى أن البرق يضيء كالصبح في لمعانه، وأن السحاب يدنو من الأرض حتى ليحسب الإنسان أنه يقدر أن يمس خطوطه بيديه أو يدفعه بكفيه، ولما هاله هزيم الرعد تخيله إبِلاً عَشْرَاءَ تُرْزِمُ على ولدها الراشح.

وخلاصة القول في شعر الوصف عند الجاهليين أنه قاتم، يصور حياتهم الحزينة ورسومهم الكئيبة و ديارهم المقفرة تعمرها الأوابد والوحوش، و حين تصيبهم الأمطار تكسب السماء عبوسا و البيوت اضطرابا. و ذلك لاضطراب عيشهم و شدة تنقلهم وضربهم في أطراف الأرض وراء الرزق، فلا قرار و لا هدوء كأنهم يكتوون بالشمس ويرزءون بالرمل والأنواء فتغدو حياتهم كالجحيم، ولذلك كانوا يحلمون بالنعيم و الجنان وبالهدوء والشراب السائغ والوسائد الناعمة ونوم الضحى، ويرون فيها مثلا أعلى لآمالهم.

**بتصرف. من كتاب : "الوصف" تأليف نخبة من الأساتذة**

eduportal
البوابة التعليمية الجزائرية